

الانقلابات العسكرية في الموصل عبر التاريخ الحديث للمدة (١٩٢٠-١٩٦٨)

الدكتور فواز جار الله الدليمي*

يلعب الجيش بوصفه قوة عسكرية وبكل تشكيلاته البرية والبحرية والجوية دوراً مهماً في الحياة السياسية للدول النامية بشكل عام والعربية منها بشكل خاص.

فعندما تحصل في هذه الدول مشكلات سياسية لاتستطيع حلها الاحزاب والفئات المختلفة فأنها تلجأ الى كسب كبار الضباط والعسكريين في المؤسسة العسكرية من اجل مساعدتهم على تغيير النظام السياسي، ومن هنا فقد دخلت الجيوش في الحياة السياسية لهذه الدول وحتى الوقت الحاضر فلاحظ الكثير من هذه الدول في افريقيا واسيا يظهر بعض القادة العسكريين ذوي السمعة الوطنية الكبيرة من احداث التغيير وذلك بواسطة الانقلابات العسكرية، والتي تعني بشكل بسيط استخدام الجيش والقوة العسكرية في ازالة النظام السياسي، فبدون القوة العسكرية لا يستطيع الكثير من السياسيين والمصلحين الاجتماعيين والدينيين من احداث أي تغيير في الاوضاع السياسية والاقتصادية. وعلى الرغم من تطور اساليب ونظم الحكم المتلفة في العالم المتقدم والنامي وزوال الحكومات والانظمة

/ *

الشمولية في المعسكر الاشتراكي السابق وتحول معظم دوله الى الاسلوب الانتخابي وصناديق الاقتراع في اختياره القادة والسياسيين والاداريين للمحافظات والبلديات مما قلل من اهمية ودور الانقلابات العسكرية، لابل اصبح الجيش والمؤسسة العسكرية حيادية ومهنية ودورها الرئيس يتركز في حفظ الامن وحدود البلاد من التدخلات الاجنبية والاقليمية.

وبالنسبة للعراق والدول العربية فان التاريخ الحديث يبدأ مع نهاية نفوذ الدولة العثمانية، وحيث بدأت الانتفاضات العسكرية من الحجاز التي قادها مؤسس الدولة العربية الحديثة الملك الحسين بن علي واولاده عبدالله وفيصل وعلي، والتي انتهت بالانتصار على الجيش التركي الذي يسيطر على نجد والحجاز ولكن بمساعدة البريطانيين وتحرير هذه المدن فيما سميّ فيما بعد "الثورة العربية الكبرى" ودخول الملك فيصل الاول الى سوريا والذي توج ملكاً عليها، وكان للجيش العربي دوراً بارزاً في هذه الثورة حيث كان القادة العسكريين المعروفين بانتمائهم القومي آنذاك الدور الرئيس في إحداث هذا التغيير ومنهم نوري السعيد ومولود مخلص باشا وجعفر العسكري، وكان من النتائج الملحوظة لهذا التغيير قيام الدولة العربية الجديدة في الحجاز والشام، ثم بعد التدخل الفرنسي العسكري وقيام معاهدة سايكس-بيكو وتقسيم المشرق العربي بين الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية ثم تنصيب الملك فيصل الاول ملكاً على العراق.

لقد كان لمدينة الموصل، الحضارية والعريقة ان اقدم بعض القادة الذين اسهموا وبشكل فاعل في حدوث هذه التغييرات وفي مقدمتهم الجنرال مولود مخلص باشا والجنرال جعفر العسكري، حيث جرت لقاءات سرية مع بقية العسكريين في المدينة والشخصيات الوطنية والقومية ثم ظهرت بوادر الانتفاضة العسكرية على شكل تظاهرات وخطب سياسية في

بعض المساجد المعروفة في المدينة. وتم اظهار الحماسة الوطنية والتحريض على الثورة ضد الاحتلال العسكري التركي اولاً ثم ما تلاه من الاحتلال البريطاني وتبيان لطبيعة المخططات التي تقوم بها الدول العظمى آنذاك الاستعمارية مثل بريطانيا وفرنسا والمانيا وايطاليا لاحتلال الاراضي والدول العربية، ثم انتقل هؤلاء القادة العسكريين مع الملك فيصل الاول الى العراق لتأسيس الدولة العراقية وتم تنصيبه ملكاً على العراق.

وكان الملك فيصل الاول وبمساندة الجيش يعول كثيراً على مدينة الموصل لما تتميز به من حماس وطني وقومي عروبي في تأييده وبمساندة القادة العسكريين من هذه المدينة والشخصيات الوطنية من المدنيين حتى يحقق الهدف المطلوب وهو قيام دولة عراقية حديثة وكان للموصل مكانة مهمة سياسياً واجتماعياً كبيرة حيث زارها بعد تنصيبه ملكاً ليقدم الشكر لاهلها ولاحزابها وعشائرها العربية الاصلية على الدعم والمساندة. وبحضور القادة العسكرية الذين ذكرنا اسماءهم، وهو يعلم انه بدون الثقل السياسي والعسكري والعشائري لاجتماع الموصل لم يكن له الحظ الكبير في ان يكون ملكاً على العراق وكان من الشخصيات المرشحة لمنافسته طالب النقيب من مدينة البصرة.

والدور العسكري الواضح لمولود مخلص باشا في العراق يبدأ عندما تخرج في المدرسة الحربية وعين ضابطاً في الجيش العثماني السادس المرابط في العراق في عهد الوالي ناظم باشا وقد عمل في اللواء (٣٤) الخيالة عدة اشهر وبعدها نقل الى لواء الموصل اللواء (٣٣) ك٢ ورتبه الى رتبة ملازم اول، وكان مولود مخلص باشا مثقفاً وطنياً وقومياً يعطي دروساً في التاريخ والجغرافية في مدرسة اعداد المعلمين حيث بذل جهوداً كبيرة وطنية في سبيل تنمية الروح القومية العربية وايفاظ المشاعر الوطنية الكريمة في نفوس الطلبة آنذاك وقد

اشترك معه في هذه المهمة الضابطين علي جودت الايوبي ومحمد شريف العمري وانضموا الى جمعية العهد السرية التي اسسها وارسى دعائمها وقواعدها المرحوم: "عزيز علي المصري، في الاستانة والتي كان في مقدمة اهدافها: السعي للحصول على استقلال البلاد العربية" ومن الرجال المناصرين للثورة العربية والعاملين على تطورها محمد شريف العمري الذي عين برتبة ملازم ثاني للمشاة، ولما انتقل الى الموصل شرع ببث الافكار الوطنية وانضم الى الاتحاديين وصار ينشر افكارهم عن طلائق الخطب والكلمات الحماسية في الجرائد التي كانت تصدر آنذاك مثل جريدة "نينوى" ونشر المقالات والاجتماعات المدنية والعسكرية.

ولم تكن الموصل يومها بعيدة عن الحركة الوطنية التي عمت العراق بل ساهمت مساهمة فاعلة في ذلك، وقد تشكلت اول جمعية وطنية عربية هي الجمعية السرية التي سعى في تأسيسها (سليمان فيضي الموصل) والذي اوفد الى الموصل قادماً من ولاية البصرة وقد ذكر في مذكراته حول نشاطاته السياسية ما يلي: (حين وصلت الموصل وجدت عدداً من المؤمنين بالفكرة الوطنية والقومية عدداً لايتجاوز اصابع اليد وهم: سعيد الحاج ثابت وابراهيم عطار باشي ومحمد علي فاضل آل حافظ وحبيب العبيدي والدكتور داؤد الجلبي. اما من العسكريين (ياسين الهاشمي) الذي كان رئيساً للاركان في الموصل و (مولود مخلص) و (علي جودت الايوبي) و (عبد الله الدليمي)^(١).

(١) / / /

ثم توفي الملك فيصل الاول (رحمه الله) ويذكر الدكتور مظفر الا وهي ان هناك عدة جهات كانت لها مصلحة في موت الملك في المقدمة منها بريطانيا التي لمست ميله الى ايطاليا وقبوله دعوة (موسوليني) لزيارة ايطاليا الامر الذي سيضر بمصلحة بريطانيا هذا من جهة ومن الجهة الاخرى ان الملك (فيصل) كان يلح على المطالبة باستقلال العراق استقلالاً حقيقياً وتاماً فضلاً عن اصراره على تطبيق التجنيد الإجباري في الوقت الذي كانت بريطانيا تخطط للاستمرار والبقاء طويلاً في العراق.

وقد تركت ردود الفعل على المستوى الوطني لوفاة الملك فيصل الاول اثاراً كبيرة على ابناء الشعب العراقي والشخصيات الوطنية العراقية. ولعل دخول الجيش الى معترك السياسة كان بسبب فساد الحياة السياسية النيابية وعجز الكثير من التنظيمات السياسية الحزبية عن المعارضة الكلامية السلمية داخل البرلمان او على صفحات الجرائد، ادى الى قيام العسكريون في تلك الفترة من تاريخ العراق باللجوء الى القبائل والعشائر العربية في مناطق العراق كافة، واستغلال قواعدها ونفوذها في اسقاط الوزارات واستلام زمام السلطة، كما حدث بالنسبة لوزارة علي جودت الايوبي (١٩٣٥) ومن بعدها وزارة جميل المدفعي (١٩٣٥)، حيث تسلم ياسين الهاشمي رئيس حزب الاخاء الوطني - الحكم بتأييد من الجيش الذي كان اخوه طه الهاشمي رئيس لاركانه ومنذ تلك الفترة فتحت صفحة جديدة في ادخال الجيش في التغيير السياسي عن طريق الانقلابات العسكرية بدلاً من اللجوء الى العشائر. ولقد اصبح الجيش العراقي قوة وطنية بعد عام ١٩٣٠ بعد السماح للحكومات المتعاقبة بتكوين نواة جيش يتفق مع الوضع الجديد واحتياجات الدولة وادخل نظام التجنيد الإجباري في عام ١٩٣٤ واخذ الكثير من ابناء الطبقة الوسطى يلتحقون بالكلية

الحربية ويصلون الى صفوف الضباط الصغار واصبح بعد ذلك الجيش يشمل قطاعات وطنية واسعة وتحول الى قوة وطنية تحمي مصالح البلاد وتدافع عن الارض.

ومن الانقلابات العسكرية المشهورة ايضاً انقلاب بكر صدقي الذي كان الضابط الوحيد من الضباط الكبار الذي استطاع التأثير على مساعديه من الضباط الصغار بنشاطه وشخصيته، وقد تأثر بحركتي كمال اتاتورك في تركيا ورضا بهلوي في ايران وقد تهيأت الظروف والاسباب ليقوم بكر صدقي عام ١٩٣٦ بانقلابه العسكري المعروف لصالح حكمت سليمان، ولم يكن هذا الانقلاب فاتحة الانقلابات العسكرية في تاريخ العراق الحديث فحسب، بل كان اول انقلاب عسكري في تاريخ العرب الحديث^(٢).

ومما يلفت النظر ان الانقلاب قد قوبل بشعبية كبيرة داخل العراق. ويقول العقيد الشهيد صلاح الدين الصباغ- في مذكراته ان الدول العربية وقفت ضد انقلاب بكر صدقي وشجعتنا على العمل على اسقاطها لانها لم تظهر الحماس القومي المطلوب للوحدة العربية، والسبب الثاني ان بكر صدقي صمم على اقامة ودخول الجيش الى معترك السياسة وكان ذلك بسبب فساد الحياة النيابية وعجز التنظيمات السياسية الحزبية عن المعارضة الكلامية السمية داخل المجلس النيابي او على صفحات الجرائد، فقد قام العسكريون في تلك الفترة من تاريخ العراق باللجوء الى المعارضة العشائرية في مناطق العراق كافة، واستغلال قواها في اسقاط الوزارات واستلام زمام السلطة، كما حدث بالنسبة لوزارة علي

()

جودت الايوبي (١٩٣٥) ومن بعدها وزارة جميل المدفعي (١٩٣٥) حيث تسلم ياسين الهاشمي رئيس حزب الاخاء الوطني الحكم بتأييد الجيش الذي كان اخوه طه الهاشمي رئيس اركانه ومنذ تلك الفترة فتحت صفحة جديدة في السيطرة على الحكم حيث اقحم الجيش في الانقلابات العسكرية بدلاً من اللجوء الى العشائر.

اصبح الجيش العراقي قوة وطنية ضاربة بعد عام ١٩٣٠ بعد السماح للحكومات بتكوين نواة جيش يتفق مع الوضع الجديد واحتياجات الدولة وادخل نظام التجنيد الاجباري في عام ١٩٣٤ واخذ الكثير من ابناء الطبقة الوسطى يلتحقون بالكلية الحربية ويصلون الى صفوف الضباط الصغار واصبح بعد ذلك الجيش يشمل قطاعات وطنية واسعة وقد تحول الجيش الى قوة وطنية تحمي مصالح العراق وتدافع عن الارض. دكتاتورية عسكرية في العراق، والى جانب ذلك ان بكر صدقي وخوفاً من معارضيه بدأ يعد العدة للتخلص من معارضيه من المدنيين والعسكريين، وفي مدينة الموصل تم اغتيال بكر صدقي والانقلاب العسكري عليه، و قد انتهز الآخرون من العسكريين المعارضين لحكمه فرصة زهابه الى الموصل وتركيا على رأس بعثة عسكرية عراقية لحضور مناورات الجيش التركي ومروره بمدينة الموصل فقام احد الجنود باطلاق النار عليه في القاعدة الجوية في الموصل مع أمر القاعدة انذاك محمد علي جواد. ويعد هذا الحادث انقلاباً عسكرياً آخر حيث تم الاتفاق بين قائد الجيش في الموصل محمد امين العمري وبين بعض العسكريين على عدم تسليم المتهمين الى حكومة بغداد انذاك واعلن العمري تمردہ على الحكومة في ١٧ اغسطس عام ١٩٣٧^(٣).

()

وهذه الحركة لا تعني اختفاء الجيش من المعركة السياسية بل ظل الجيش في الحقيقة القوة المحركة للسياسة العراقية وصار هو الذي يقرر تشكيل واسقاط الوزارات بين عامي ١٩٣٧ و١٩٤١ وعن طريق الانقلابات العسكرية وكانت مدينة الموصل عن طريق بعض الشخصيات الوطنية العسكرية هي السبابة في حدوث هذه الحركات.

وقد لجأ نوري السعيد الى الاتصال بقيادة الجيش ايضاً للانقلاب وعمل على تحريض قادة الجيش على اسقاط وزارة المدفعي ليتسلمها هو ويبدو ان نوري السعيد كان يحاول التأثير على قادة الجيش واخضاعهم لارادته.

وبذلك تم الانقلاب العسكري الثالث الذي اطاح بوزارة المدفعي الرابعة بعد ان استمرت في الحكم زهاء سنة ونصف. ويعزو صلاح الدين الصباغ تدخل الجيش لاسقاط وزارة المدفعي بسبب محاولة الوزارة لشق الجيش الى معسكرين.

وبعد مصرع الملك غازي والمؤامرة التي رافقت هذه الحادثة من قبل الانكليز. فقد عدت هذه المرحلة كارثة قومية حيث كان الملك يعد بطلاً شعبياً. وله مواقف عربية وطنية وقومية مشهودة تنادي بتحرير فلسطين وسوريا والكويت وجميع البلاد العربية ثم نودي بالملك فيصل الثاني ملكاً على العراق وعبد الاله وصياً على العرش واما بالنسبة لقادة الجيش (العقداء الاربعة) فقد حاولوا نشر الاستقرار في البلد وقاموا بدعم عبد الاله ليسيير معهم على الدرب من اجل تحقيق الاماني القومية التي ينادون بها.

وفي عهد وزارة رشيد عالي الكيلاني بعد استقالة وزارة نوري السعيد عام ١٩٤٠، قام العقداء الاربعة بدعم وزارة الكيلاني بوصفها وزارة قومية قوية لم يشهد العراق نظيراً لها

حيث اذكت الشعور المعادي لبريطانيا وبعد ذلك الى اضطراب الوضع الدولي اولاً والى قوة الحركة القومية العربية وسيطرة القومييين على المجتمع العراقي فضلا عن انتعاشها في سوريا وفلسطين.

ولقد استعان رشيد عالي الكيلاني بالعقلاء الاربعة لساندته في البقاء في الحكم بعد تأمر نوري السعيد والوصي عبد الاله عليه لاسقاط وزارته وارغام البلاط آنذاك على تعيين كل من يونس السبعائي وعلي محمود الشيخ علي في الوزارة وهروب الوصي الى الديوانية. وفي اواخر نوفمبر عام ١٩٤١ بدأت وزارة السعيد محاكمة رشيد عالي الكيلاني واعضاء وزارته والعقلاء الاربعة امام المجلس العرفي العسكري وحكم عليهم: بالاعدام وهرب رشيد عالي الكيلاني مع فريق من انصاره عام ١٩٤١ الى المانيا عن طريق الموصل وتركيا وكان لرشيد عالي الكيلاني مكانة كبيرة لدى ابناء الموصل حيث كانوا يعتبرونه رجلاً وطنياً وقومياً ومناهضاً للاستعمار البريطاني على الرغم من تأييده لالمانيا التي كانت تحارب دول المحور.

وبقيام ثورة ٢٣ يوليو في مصر عام ١٩٥٢ وهي ايضاً ثورة قام بها الجيش على النظام الملكي في مصر وكانت مدينة الموصل من المدن التي تدعم حركة الضباط الاحرار في مصر بسبب كونها مدينة عربية وقومية وفي الوقت ذاته مناهضة للاستعمار ومخططاته المعروفة ومؤيدة لقضية الشعب الفلسطيني.

كل هذه الاسباب ادت الى اندلاع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ضد النظام الملكي وهي ايضاً ثورة قام بها الجيش كما هو معروف ثم كان الجناح القومي من الضباط الاحرار يميلون الى

الحضور وزيارة مدينة الموصل بوصفها قلعة العروبة، وكانت الزيارة المشهورة للقائد العام للقوات المسلحة المصرية المشير عبد الحكيم عامر الى الموصل والاستقبال الحاشد الذي استقبل به من قبل الاحزاب الوطنية والقومية والجمعيات والجماهير الشعبية في مدينة الموصل ورفعت شعار الوحدة والقومية آنذاك، ثم يعقبها زيارة العقيد عبد السلام محمد عارف وهو نائب رئيس الوزراء وخطبه الشهيرة في الموصل والتأييد الكاسح لابناء الموصل في تلك الفترة لتوجهات عبد السلام عارف القومية وبالذات سعيد لاقامة وحدة مع مصر بشكل فوري وسريع الى درجة لم تحظى هذه الدعوة بالقبول لدى الوفد العراقي الذي سافر الى سوريا مع عبد السلام عارف ولقائه بجمال عبد الناصر وفي مقدمته اعضاء الوفد المرحوم الدكتور عبد الجبار الجومرد اول وزير خارجية للعراق بعد الثورة وللمرحوم محمد صديق شنشل وكلاهما من مدينة الموصل واللذان لم يوافقا على الاسراع بالوحدة في حينها وكلاهما من ابرز السياسيين في العراق الجمهوري وانتهت الحالة بدخول عبد السلام عارف ورشيد عالي الكيلاني السجن بتهمة التآمر على الثورة التي قامت عام ١٩٥٨ وعلى زعيمها آنذاك عبد الكريم قاسم.

ثم قامت نتيجة لذلك ثورة العقيد عبد الوهاب الشواف في الموصل والتي قام بها عدد كبير من العسكريين القوميين وبتأييد من سوريا ومصر ودعمهم الكامل، وعلى الرغم من المذابح والتدمير الذي حصل من قبل الشيوعيين ضد الثورة وقادتها والاعدام الذي اطال رجال الثورة الشهداء الطبقي ورفعت الحاج سري وعلي توفيق والاخوان حازم ومحسن عموري، والمظاهرات الشعبية الواسعة التي طافت مدينة الموصل احتجاجاً على هذه

الاجراءات بحق الانقلابيين الذين اعتبروا الابطال الحركة القومية في هذه المدينة الباسلة آنذاك.

وفي الماضي وليس ببعيد من عام ١٩٦٤ حيث قتل الرئيس عبد السلام عارف في حادث تحطم طائرة عسكرية كانت تنقله من القرنة الى البصرة في زيارة تفقدية للقطعات العسكرية في جنوب العراق وعلى اثر هذا الحادث تولى شقيقه اللواء عبد الرحمن محمد عارف رئاسة الجمهورية وبعد سنتين من توليه الرئاسة، قامت حركة انقلاب عسكري ضده قادها قائد القوة الجوية السابق اللواء الركن الطيار عارف عبد الرزاق الكبيسي ومن مدينة الموصل ايضاً حيث عاد منفياً من القاهرة وعن طريق تركيا ثم اتفق مع بعض العسكريين المواليين لعبد الناصر مثل قائد الفرقة الرابعة العميد الركن يونس عطار باشي وبعض من الطيارين وقاموا بقصف القصر الجمهوري في بغداد الا ان هناك خلافاً نشب بين العسكريين المواليين لعارف وعبد الرزاق من جهة واخرين مواليين لرئيس الجمهورية عبد الرحمن عارف ادت الى فشل الانقلاب واعتقال الانقلابيين وتسفيرهم الى بغداد ولكن سرعان ما صفح عنهم عبد الرحمن عارف حيث كان رجلاً مسالماً واطلق سراحهم.

وتظل الموصل على مر الزمن مدينة القيم والشرف القومي والوطنية الخالصة ضد كل من يفكر في غزوها من القوى الاجنبية فهي بأهلها الاصلاح تعد درعاً حصيناً ضد البرابرة والغزاة على مر الدهور والازمان.

المصادر المعتمدة:

- ١- الملك فيصل / حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسورية والعراق ١٨٨٣-١٩٢٣ علاء جاسم محمد.
- ٢- مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى، تأليف الدكتور محمد حسين الزبيدي.
- ٣- حركة رشيد عالي الكيلاني/ دراسة في تطور الحركة الوطنية العراقية- دار الطليعة - بيروت.
- ٤- ثورة الشواف في الموصل / محمود الدرة.